

2015

الصورة التشبيهية في السنة النبوية

عبد السلام عطوة الفندي
جامعة العلوم التطبيقية الخاصة, AbedAlSalam@yahoo.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/albalqa>

Recommended Citation

"الصورة التشبيهية في السنة النبوية" الفندي, عبد السلام عطوة (2015) *Al-Balqa Journal for Research and Studies* البلقاء للبحوث والدراسات: Vol. 18 : Iss. 1 , Article 4.
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/albalqa/vol18/iss1/4>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al-Balqa Journal for Research and Studies البلقاء للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الصورة التشبيهية في السنة النبوية

د. عبدالسلام عطوة الفندي

جامعة العلوم التطبيقية الخاصة
عمّان - الأردن

الملخص:

كثر التشبيه في كلام العرب عامة، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة خاصة، حيث نجد حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفيض بمشاهد ذات خيال واقعي خصب، وذلك لأنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين؛ ليفهموا مراده، ويتأثروا بأسلوبه فتتحرك قوى تلك الكلمات في نفوس السامعين.

وهذا البحث يُجَلّي تلك الصورة التشبيهية في السنة النبوية مع ذكر أنواع التشبيه وصوره والأمثلة عليه من الأحاديث الصحيحة الثابتة، وفيه الجدة والإفادة وحسن التصوير والتعبير كأسلوب بليغ يستحسن استعماله في كلامنا وخطابنا للآخرين لما فيه من بيان جميل وذوق رفيع وتأثير كبير.

وقد جاء البحث في مطلبين، الأول منهما جاء ببيان معنى الصورة التشبيهية كمفردات وكتراكيب إضافي، والثاني في أقسام الصورة التشبيهية وأمثلتها في السنة النبوية. ثم كانت الخاتمة وفيها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، الصورة الحسية، التأثير، الجدة، الذوق.

Simile in the Prophetic Tradition (Al-Sunna)

Abstract

The Arabs use similes a lot in their speech. Similes are also significantly present in the Qur'an and Sunna (the Prophet's sayings and acts). The Prophet's sayings are rich with realistic and prolific depictions. This is due to the fact that the Prophet (PBUH) preferred to express abstract meanings through sensory images derived from the life of the addressees, hence securing deeper perceptions of his intentions, better impact on recipients, and more constructive interactions. This research clarifies similes, their different types, and some examples as used in the definite Sunna. It also attempts to underscore the seriousness, usefulness, aesthetic value, and strong impact of this figure of speech. Its utilization in our discourse ensures eloquence, refined taste, and effective mode of communication.

This research basically addresses two issues:

The first clarifies the meaning of parable image in terms of vocabulary and additional structure, while the second deals with types of parable image and its examples in the Sunna. The last part is the conclusion which includes the most important findings of the study.

Key words: Simile, sensory images, impact, seriousness, taste.

مقدمة البحث:

إن التشبيه أسلوب من أساليب البيان، قديم قدم التعبير؛ وذلك لأنه أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة، وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني، وفيه تتكامل الصورة وتتدافع المشاهد؛ ليؤدي رسالة ذات أثر، وليحقق أغراضه النفسية من خلال وظيفته التي تتأتى من دوره في نقل الشعور بأشكال وألوان متعددة من نفس إلى نفس.

وكما كثر التشبيه في كلام العرب عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، فقد كثر أيضاً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نجده يفيض بمشاهد ذات خيال واقعي خصب، حيث كان صلى الله عليه وسلم يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين؛ لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده -عليه الصلاة والسلام- ويتأثروا به، حيث تكسو المعاني حُلّة جميلة، تضاعف قواها في تحريك النفوس لها.

ولقد وجدت - والله الحمد والمنة - كمّاً كبيراً من صور التشبيه في الحديث النبوي الشريف، فرغبت الكتابة في هذا الموضوع لبيان الإبداع النبوي في هذا الجانب وما اختص به النبي الأكرم من إبداع وذوق رفيع في التعبير والتصوير عما يجول في النفس الإنسانية، حيث اقتضى المقام اللجوء إلى استخدام هذا الأسلوب البديع، وإضافةً إلى ذلك، فقد كان الاختيار راجعاً إلى أسباب ثلاثة هي: الجدة والإفادة والفنية؛ أي ما يتعلق بالجانب الجمالي والفني الذي لم يعطه الدارسون حقّه في الدراسة المستوفاة.

وبعد الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه عز وجلّ باشرت بحث هذا الموضوع وكتابة مفرداته، وفق الخطة الآتية:

المقدمة:

المطلب الأول : مفهوم الصورة التشبيهية وأركانها.

المطلب الثاني : الصورة التشبيهية وأمثلةها في السنة النبوية.

حيث شرعت في شرح تلك الأقسام باقتضاب، مع ضرب الأمثلة عليها من السنة النبوية العطرة، بإسهاب في بعض المواطن، وفي بعضها الآخر ربما اكتفيت بالمثل الواحد أو بالمثالين، وذلك راجع إلى سببين؛ الأول منهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل بعض أنواع التشبيه أكثر من غيرها، والثاني: عدم عثوري على عددٍ وافرٍ من تلك الأمثلة رغم

جَدَّتِي فِي الْبَحْثِ وَالْمُطَالَعَةِ.

وَجَاءَتْ أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ عِنْدِي عَلَى قَسْمَيْنِ اثْنَيْنِ:

أحدهما: التشبيه البسيط، ويشتمل على تشبيه الأفراد وتشبيه الجمع، فأما تشبيه الأفراد؛ فأدرجت تحته: التشبيه البليغ والتشبيه الضمني والتشبيه المقلوب، وأما تشبيه الجمع؛ فتحدثت ضمنه عن التشبيه المفروق والتشبيه الملفوف وتشبيه التسوية، وعلى كلِّ ما سبق أمثلة متعددة.

ثانيهما: التشبيه المُركَّب أي التمثيلي، وقد عرّفته وبيّنت بعض أقوال العلم فيه، وضربتُ أمثلة عليه من سنة الحبيب المصطفى(ص).

ثم الخاتمة وفيها أهمُّ نتائجها وتوصياته ضمن نقاطٍ معدودة، وقبل النهاية ذكرت مراجع بحثي بحسب الترتيب الهجائي لمؤلفيها؛ ليسهل الرجوع إليها لمن شاء أن يستزيد، وخير الزاد التقوى "وقل رب زدني علماً"(1).

المطلب الأول: مفهوم الصورة التشبيهية وأركانها لغة واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم الصورة لغةً:

إذا ما رجعنا إلى المعاجم اللغوية فإننا سنجد أنّ معاني الصورة لا تخرج عن تخيل الهيئة أو الشكل الذي تتميز به الموجودات على اختلافها وكثرتها؛ لأنَّ لكلِّ شيءٍ منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها(2).

ولا يخفى أنّ تخيل هذه الهيئة للمعاني الذهنية المجردة، فتصورها بشكلٍ محسوس يتراى أمام المتلقي، وذلك بيان لها، ومن ثمَّ يؤدي إلى فهمها(3).

قال الزمخشري في مادة صور: (وصور فتصور، وتصورت الشيء ولا أتصور ما تقول، ومن المجاز: هو يصور معروفة إلى الناس)(4). وهذا الكلام يبيّن لنا أنّ الصورة أو التصوير بيانٌ وكشفٌ لشيءٍ ما، ويكون من أجل معرفة ذلك الشيء وفهمه.

وقال ابن منظور -وهو يشير إلى أن صور في أسماء الله الحسنى (المصور)- وهو: الذي صور جميع الأشياء ورتّبها، فأعطى كلّ شيءٍ منها صورةً خاصةً وهيئةً مفردةً يتميز بها على اختلافها وكثرتها، ثم يضيف قائلاً: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا أي صفته(5).

وهذه الصور إما أن تكون ماديةً حسيّةً، أو تكون معنويةً تدرك بالفعل والتمثيل الخيالي (6)، وتفيد التأثير في شيءٍ، والشيء يتقبل التأثير (7).

وقد وردت مادة "صور" بصيغ متعددة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، لا تكاد تخرج عن دائرة معنى الهيئة والشكل، أو التسوية والعدل، كما في قوله تعالى: (وَصَوِّرْهُمْ فَأَحْسِن صُورَكُمْ) (8)، وقوله تعالى: [في أي صورة ما شاء ركبك] (9)، وفي الحديث الشريف: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير" (10). و"إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون" (11)، يعني صلى الله عليه وسلم الصورة المادية الحسية.

ثانياً: مفهوم الصورة اصطلاحاً:

قد يكون البحث عن تعريف جامع مانع للصورة أمراً عسيراً، وذلك لتعدد المباحث التي تناولت دراسة الصورة، وتحدثت عن مفاهيمها المختلفة على وفق المناهج التي تتبناها كل مدرسة نقدية أو كل مذهب أدبي.

ومن الواضح أنَّ نقادنا القدامى لم يتحدثوا حديثاً صريحاً عن الصورة إلا ما كان من لمحات خاطفة تدلُّ على إحساسهم بالصورة، وفي ذلك يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أنَّ قولنا الصورة؛ إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلمَّا رأينا البيونة تبين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا ولا تكون في صورة ذاك، وكذلك الأمر في المصنوعات فكان تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار، والتميز بين هذه الصورة تكون بخصوصية تتمتع بها صورة أحد هذه الأشكال، ولا تكون في الثاني، وبهذا تتميز صورة الأول عن الآخر بصفة خاصة به تميّزه عن مثيله الذي هو من جنسه" (12).

وقيل إنَّ الجاحظ هو أول من أشار إلى توضيح مفهوم الصورة وإبراز قيمتها الفنية، واقتفى أثره قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وابن الأثير في تحديد مفهوم الصورة، حيث استعملوا كلمة الصورة قسيماً للمعنى، أي أنهم عدوها الشكل الذي يحتضن المعنى، وهو عندهم يعني تارة التشبيه المركب، وتارة أخرى يعني التشبيه التمثيلي (13).

أمَّا في النقد الحديث فانتسج مُصطلح الصورة في معناه، وصار يدلُّ عند أكثر النقاد المعاصرين على: الأداة الفنية المستعملة لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون وما بينهما من

وشائج تجعل الفصل بينهما مستحيلاً (14). وهي كما يقول "الدكتور جابر أحمد عصفور":
"مجموعة من العلاقات اللغوية التي ينتجها الخيال ويقدمها تقديماً حسياً" (15).

ثالثاً: معنى التشبيه لغة:

معنى التشبيه لغة: هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ.
أو: إلحاق أمرٍ بأمرٍ بأداة التشبيه لجامع بينهما، وقال الراغب الأصفهاني: (شبه: الشبه والشبه والشبيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية؛ كاللون والطعم والعدالة والظلم) (16).

رابعاً: معنى التشبيه اصطلاحاً:

هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حسٍّ أو عقلٍ، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو النفس على حدِّ تعبير الرماني -رحمه الله- (17) وهذا النصُّ يدلُّ على جملة أمور منها:

أن العقد يعني عقد الكلام، وإقامة هيئة على صورة، تفيد أن أحد الشئيين مُشبه بالآخر، ويسد مسده في الصفة المشتركة، وذلك كقول القائل: شديدٌ كالأسد فالكاف ربطت المشبه بالمشبه به، وعقدت بينهما.

فالتشبيه إذن: علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما واشتراكهما في صفةٍ أو حالةٍ أو مجموعةٍ من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة قد تشتد إلى مشابهة حسية أو مشابهة في الحكم والمقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة (18).

خامساً: المقصود بالصورة التشبيهية والغرض منها:

على ضوء ما سبق من تعريف الصورة والتشبيه في اللغة وفي الاصطلاح، يمكننا أن نعرّف الصورة التشبيهية كمركب إضافي بأنها: المُحصلة الفنيّة التي تتجلّى في إلحاق أمرٍ بأمرٍ يشاركه بوجهٍ ما بأداة التشبيه؛ لأداء المعنى وإيصاله إلى المتلقي ببسرٍ ووضوح. وأعني بوجهٍ ما: صفة معينة أو حالاً محددة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وليس كل الصفات والأحوال وإلا صار الطرفان أو الأمران - المُشبه والمُشبه به - هو ذاته، كما قال أبو هلال العسكري: "... ولو أشبه الشيء الشيء من جميع صفاته لكان هو هو" (19).

سادساً: أركان التشبيه:

مما سبق يتبين لنا أنّ للتشبيه أركاناً أربعة، هي:
 المُشَبَّه، والمُشَبَّه به، وأداة التشبيه، وهي الرابط بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به،
 ووجه الشبه؛ وهو المعنى الذي اشترك المُشَبَّه والمُشَبَّه به فيه وجمع بينهما من
 أجله.

يقول فضل حسن عباس - رحمه الله -:

"ولكن هذه الأركان ليست سواء، فبعضها يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه معلوم للنفس،
 لا تجد النفس في تقديره صعوبة ولا حرجاً؛ كالأداء ووجه، الشبه بينما لا يمكن الاستغناء
 عن بعضه الآخر كالمشبه والمُشَبَّه به، فلا يمكن الاستغناء عن واحد منهما، فهما طرفا
 التشبيه، فإذا حذف أحدهما خرج الكلام عن كونه تشبيهاً وأصبح من باب الاستعارة" (20).
 ثم ذكر - رحمه الله - أنّ طرفي التشبيه قد يكونان محسوسين، وقد يكونان معقولين، وقد
 يكون أحدهما معقولاً والآخر محسوساً (21).

كما ذكر أنّ أداة التشبيه قد تكون حرفاً أو فعلاً أو اسماً، فالحرف مثل: الكاف وكأن،
 والفعل مثل: يحكي ويُشَبَّه، وأما الاسم فمثل له الدكتور الفاضل بقول أبي بكر الخالدي:

يا شبيهَ البدر حسناً وضياءً ومنالاً
 وشبيهَ الغصن ليناً وقواماً واعتدالاً (22).

أغراض التشبيه وفوائده:

للتشبيه أغراض كثيرة وفوائد عديدة لسنا بصدد ذكرها وتفصيلها، وهي مُبَيَّنَة في
 كتب البلاغيين وأقوالهم، ولكننا نشير هنا إلى الغرض الأساسي من التشبيه، وهو: التأثير
 في النفس، وإثارة اللذة، والتشويق فيها بجمال الأسلوب وحسن التصوير للمعاني المراد
 التعبير عنها، وفائدته كما قال العسكري أنّه: "يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً" (23). وهو
 عند ابن الأثير يجمع صفات ثلاثاً: "المبالغة والبيان والإيجاز" (24).

المطلب الثاني: أقسام التشبيه، وأمثلةها في السنة النبوية:

اجتهد البيانون في تقسيم التشبيه بحسب تدوهم له وتفاعلهم معه، فظهر للتشبيه عدّة تقسيمات من زوايا مختلفة، بعضها اعتمد على جمال التصوير الفني للصورة التشبيهية، وبعضها الآخر اعتمد مدى تأثيره في النفوس وتوثيره للعقول، وبعضها اعتمد على تقسيمه بحسب كل ركن فيه، وسنوجز كلّ ذلك في هذه السطور المعدودة دون كبير تفصيل وتمثيل؛ وذلك لأنّ الحديث حول تلك التقسيمات يطول، وبالتالي سيخرج عن لبّ الموضوع الذي نحن بصدده، لذا نكتفي بإعطاء صورة عامة حول تلك الأقسام لهذا التشبيه.

فقد قيل: أنّ "أبا العباس المبرّد" هو أول من فصل القول في التشبيه في كتابه "الكامل" فقسّمه إلى أربعة أقسام؛ هي باختصار:

1. التشبيه المُفرط؛ وهو التشبيه المبالغ فيه، أو مبالغ في الصفة التي تجمع بين المشبه والمشبه به.
2. التشبيه المُصيب؛ وهو ما خلا من المبالغة، وأخرج الأغمض إلى الأوضح.
3. التشبيه المقارب.
4. التشبيه البعيد.

وهذه التقسيمات واقعية حقيقية كما يقول أستاذنا الدكتور فضل عباس - رحمه الله - ويعلّل ذلك: لأنّ المُبرّد لغوي؛ فهو يتعامل مع واقع الكلمات بقطع النظر عمّا لها من ظلال وارفّة وإيحاءاتٍ بديعة (25).

ثم جاء "الرّماني" فقسّم التشبيه إلى نوعين اثنين: حسي ونفسي.

وقال بعدها: وهذا الذي يعنينا، والتشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف... والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه:

1. منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة على ما تقع عليه الحاسة؛ (والذين كفروا أعمالهم كسراب.. سورة النور/ آية (39)).
2. ومنها إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة؛ (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّهُ ظلة.. سورة الأعراف/ آية (171)).
3. ومنها إخراج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية؛ (وجنة عرضها كعرض السماء

والأرض..) سورة الحديد/ آية (21).

4. ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة؛ (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) سورة الرحمن/ آية (24).

ثم جاء "أبو هلال العسكري" ونهج نهج الرُّماني، كما نهجه غيره رداً من الزمان (26).
ثم كان عهد العلامة الثاني "سعد التفتازاني" - رحمه الله - الذي ظهرت منذ عهده فما بعده تقسيمات جديدة للتشبيه بحسب أركانه، وفيما يلي إجمالها:

1. تقسيم التشبيه من حيث طرفاه:

طرفا التشبيه قد يكونان مفردين، وقد يكونان مقيدّين، وقد يكون أحدهما مفرداً مقيداً، والآخر مفرداً، والقيد قد يكون شبه جملة، وقد يكون حالاً، وجعلوا منه المضاف إليه؛ مع أنه لا يعد من القيود، ولا صلة الموصول، وعذرهم في ذلك: أنهم يتكلمون عن أحد طرفي التشبيه لا عن الجملة وأجزائها.

كما أنّ طرفا التشبيه قد يكونان متعددين كلاهما أو أحدهما، وتفصيل ذلك يطول.
كما أنهما أيضاً قد يكونان مركبين، وقد يكون أحدهما مركباً، والآخر مفرداً (27).

2. تقسيم التشبيه من حيث الأداة:

ينقسم التشبيه من حيث الأداة إلى: مرسل ومؤكد:

فالمرسل: ما ذكرت فيه الأداة.

والمؤكد: ما حذفت منه الأداة (28).

3. تقسيم التشبيه من حيث وجه الشبه:

ينقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى: مُفَصَّل ومُجْمَل:

فالمفصّل: ما ذكر فيه وجه الشبه.

والمجمل: ما لم يذكر فيه وجه الشبه. (29)

وإذا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه معاً صار تشبيهاً بليغاً. (30)

كما ينقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى: تمثيل وغير تمثيل:

فالتمثيل: ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من أشياء متعددة.

وغير التمثيل: ما لم يكن وجه الشبه فيه منتزعاً من أشياء متعددة. (31)

بقي هنالك تقسيم أخير للتشبيه وجدته عند بعض الدارسين المعاصرين من أمثال "الدكتور فالح الحمداني" (32) الذي اتخذ في ذلك منهجاً جديداً في دراسة دقة التصوير البياني بلجونه إلى الصور التشبيهية المكثفة التي يكون لها دورٌ فاعلٌ في البيان وأثرٌ واضحٌ في إقناع العقول بما جاء به الدين الإسلامي الحنيف لرسم منهج الحياة ومعرفة كيفية العيش فيها.

ويقوم هذا التقسيم على جعل التشبيه قسمين اثنين فقط هما:

1. التشبيه البسيط، ويندرج تحته عدة أقسام هي باختصار:

أ. تشبيه الأفراد، وهذا بدوره قسّمه إلى نوعين اثنين:

الأول: ما يدلُّ على التفاعل والاتحاد؛ كالتشبيه البليغ، والتشبيه باستخدام أداة التشبيه (كأن).

الثاني: ما يدلُّ على المقارنة والموازنة؛ كالتشبيه الذي تُستخدم فيه بقية الأدوات، مثل: الكاف، ومثل، وصيغة أفعال التفضيل المقرونة بـ (من) وبـ (أفعل من).

ب. التشبيه الضمني.

ج. التشبيه المقلوب.

د. تشبيه الجمع.

ثم ذكر الصور الأخرى من التشبيه المتعدد؛ وهي (المفروق والملفوف والتسوية).

2. التشبيه المُركَّب، ونعني به التشبيه التمثيلي (33). وسيأتي بيان ذلك كلّ - إن شاء الله تعالى - في ثنايا هذا البحث.

وأودُّ الإشارة هنا إلى أنني أتبع في هذه الدراسة ذلك المنهج في تقسيم التشبيه وتطبيقاته على الحديث النبوي الشريف، بعيداً عن التقسيمات البلاغية الجامدة التي تحتوي أدوات التشبيه ووسائله والتي سبق أن ذكرناها في بحثنا هذا، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى للتعرف على هذا التقسيم الجديد رأيته فيه البساطة والوضوح، ومع اجتنابي لبعض تفرعاته وتعبيراته كتقسيمه تشبيه الأفراد إلى نوعين هما: ما يدلُّ على التفاعل والاتحاد، وما يدلُّ على الموازنة والمقارنة في التشبيه.. والله تعالى وليُّ التوفيق.

أولاً: التشبيه البسيط:

ونقصد به:

ما كان وجه الشبه فيه مفرداً، سواء أكان مفصلاً أم مجملاً (34)، وسواء كان كامل الأركان أو لم يكن كذلك (35).

والتشبيه بهذا المفهوم يمكن أن يكون أداة فطرية لإظهار صورة ذهنية عند المُتَكَلِّم، لا يرى التعبير عنها كافياً إلا بإخراجها هذا المخرج التصويري الذي تتعاون فيه قوى النفس في أحكامه وبث الحياة فيه (36).

والبيان النبوي الكريم يضرب بسهم وافر في هذا الميدان، ويتخذ من التصوير بهذه الوسيلة أداة ناجحة فعالة للوصول إلى هدفه، من شغل الحس الظاهر والباطن وامتلاك النفس بكل ما فيها، لأن هذه الوسيلة أقرب إليها؛ لما فيها من أسلوب خاص يقوم بمخاطبة العقل والعاطفة معاً، وغرس القناعة في نفس المُتَلَقِّي، لا سيما وقد جاء هذا البيان من نبي كريم اختص بالعصمة من الزلل في استعمال تلك الوسيلة، فلا نقد على تشبيهه، ولا إخفاق في تمثيله، ولا جموح في عباراته، ولا إسفاف في دلالاته؛ لأنه (صلى الله عليه وسلم) معصوم من الزلل الذي يعوق الرسالة، ويؤثر في البلاغ (37).

والبحث في التشبيه البسيط هذا سيتناول ما يتعلق بتشبيه الأفراد وتشبيه الجمع، ومن خلال هاتين المسألتين سندرس ضمناً ما يتعلق بأدوات التشبيه وأقسامه الأخرى؛ كالتشبيه البليغ والتشبيه الضمني وغير ذلك، وبالله وحده التوفيق.

[أ] تشبيه الأفراد:

ونقصد به: تشبيه المفرد بالمفرد، ويكون فيه وجه الشبه مفرداً أيضاً؛ سواء أكان مجملاً أم مفصلاً.

وتشبيه الأفراد هذا منه ما يدل على التفاعل والاتحاد، كالتشبيه البليغ، ومنه ما يدل على المقارنة والموازنة بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به؛ كالتشبيهات التي تستخدم فيها الأدوات والوسائل التي تدعو إلى الكشف والتوضيح بين الطرفين، أعني المُشَبَّه والمُشَبَّه به ومن تلك الأدوات: الكاف، ومثل، وصيغة أفعال التفضيل المقرونة بـ (من) و (أفعل من) (38)، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

ويندرج تحت تشبيه الأفراد هذا كلٌّ مما يلي:

1. التشبيه البليغ:

وهو التشبيه الذي يُبنى على حذف أداة التشبيه ووجه المشبه، حيث يصير المشبه والمشبّه به كالشيء الواحد، وفي زيادة الدلالة على اتحاد المشبه والمشبّه به (39).

وسأذكر في هذا النوع من التشبيهات على الأحاديث النبوية الشريفة التي اقتضت على ذكر طرفي التشبيه وما يقيدهما أو يقيد أحدهما إجمالاً وتفصيلاً (40)؛ لما لذلك من دور فاعلٍ في استقطاب الصورة وحصرها، ومن ثم توضيحها.

أمثلة التشبيه البليغ في الحديث النبوي الشريف:

"1" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ من البيان لسحراً" (41).

ففي هذا الحديث الشريف قدّم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المُشبّه على المُشبّه به وقيدَه بـ(من) التي تفيد التبعية، بعد أن أكّده بـ(إنّ) أداة التوكيد، فخصّ قسماً من البيان بالسحر، لما له من أثرٍ في نفوس سامعيه، مُحذراً من دور بعضه في إظهار الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل (42).

ولا يخفى علينا في ذلك ما في هذا الحديث الشريف من الدقة في التعبير والتشبيه، فهو -صلوات ربي وسلامه عليه- لم يمثّل البيان كلّّه بالسحر، وإنّما مثّل بعضه، وترك هذا القسم من غير تخصيص حتى لا ينازعه في تمثيله إياه بالسحر منازع، فجاء التشبيه حقيقة لا تحتل الأخذ والرد (43).

"2" قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن مرآة المؤمن" (44).

وفي هذا الحديث الشريف تشبيه بليغ أيضاً، حيث شبه صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن بالمرأة، يُخلصه النصيحة، فيريه حسناته وهناته، فيبصره مواقع رشده، ويطلعه على خفايا عييه (45).

وما أشبه هذا الناصح المخلص بالمرأة التي تُري الناظر إليها ما لا يمكن أن يراه دونها من غير غشٍّ ولا خداع، وفي ذلك يقول عبد القاهر: "ليس على إثبات المرأة من حيث الجسم الصقيل، لكن من حيث الشبه المعقول، وهذا كونها سبباً للعلم بما لولاها لم يعلم، لأنّ ذلك العلم طريقة الرؤية، ولا سبيل أن يرى الإنسان وجهه إلّا بالمرأة وما جرى مجراها من

الأجسام الصقيلة، فقد جمع بين المؤمن والمرأة في صفة معقولة، وهي أن المؤمن ينصح أخاه ويريه الحسن من القبيح، كما تُرى المرأة الناظر فيها ما يكون بوجهه من الحسن وخلافه" (46). قلتُ:

وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنّما يدلّ على دقة متاهية في التصوير البياني عند من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

"3" قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تنكأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدّ على من سواهم" (47).

في هذا الحديث الشريف شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين على الرُغم من كثرتهم وتعدد أجناسهم واختلاف ألوانهم وألسنتهم باليد الواحدة في مواجهة أعدائهم، وتعاونهم ضد من عاداهم، ففي قوله -عليه الصلاة والسلام- (وهم يدّ) تشبيه بليغ، حيث حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، مكان الأصل: وهم كاليد في الاتصال والترابط وعدم الخلاف، فكأنهم في خيال السامع واحد ليس أكثر، وهكذا ينبغي أن يكون المسلمون في كل زمان ومكان، وفي ذلك يقول الشيخ عبد القاهر:

"بل المعنى أن مثّهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين، لأنّ كلمة التوحيد جامعة لهم، فلذلك كانوا كنفس واحدة" (48).

"4" قوله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..." (49). الحديث

وهذا الحديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان ما تستلزمه مسؤولية المؤمن تجاه المجتمع، حيث تناول فيه المسؤولية الجماعية، فأوضح فيه أنه ليس لأحد من أفراد المجتمع أن يتخلّى عن هذه المسؤولية أو يتصلّ منها أو يتكرّر لها، فالمجتمعات لا تقوم ولا تستقيم أمورها باتكال بعض أفرادها على بعض، وتهاون كلّ منهم في مسؤوليته، وإنّما تقوم بأداء كلّ منهم واجبه، وحرصه على مسؤوليته، وتفانيه فيها، فما منهم من واحد إلاّ وهو راعٍ يورد قطيعه موارد الماء والكأ، ويحميه من كلّ ما يضرّ به أو ينال منه، فإن راعه حق رعايته كوفئ وأثيب، وإن تهاون وقصّر حوسب وعُوقب.

"5" قوله صلى الله عليه وسلم: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً" (50).

والبيان النبوي الحكيم في هذه الصورة يُظهر لنا في تصويره -عليه الصلاة والسلام- البيت الذي لا يُصلّى فيه قبراً، لا تجد فيه الحياة الحقّة الكريمة، بل إنّه مُحشّ مُغرق في الوحشة، وإذا عرفنا أنّ المقابر من المواضع التي تُكره فيها الصلاة، ولا يكاد يُصلّي فيها أحد، أدركنا الترابط بين جُزئي الحديث الذي يأمرنا شطره الأول بأن نجعل جزءاً أو شيئاً من صلاتنا في بيوتنا؛ كصلاة السنن والنوافل الأخرى، وأمّا أن تكون صلاة المرء كلّها في المسجد وأن يمتنع عن أداء الصلاة - أي صلاة - في بيته؛ فإنّه بذلك يكون قد حوّل بيته إلى مقبرة، وفيما رأينا صورة مُعبّرة تُضفي على الصلاة ظلاً مُحبباً مرغوباً، والحياة الحقّة المستكملة لعناصر الجودة هي التي تكون العبادة في كلّ مجالاتها، أمّا عندما تخلو الحياة من العبادة؛ فإنّها تصبح موتاً وقبوراً.

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى هذا المعنى أو ما يقرب منه كما في قول الحق -تبارك وتعالى-: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه..)(51). فحياتنا من غير تحقيق معاني العبودية لله تعالى بطاعته -عز وجل- وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتة لا طعم لها ولا لون ولا رائحة.

وبالعودة إلى الحديث الشريف نجد أنّ بناء العبادة على حذف أداة التشبيه واستعمال (جعل) من أفعال التصيير والتحويل يزيد من أن تقرير تحويل البيت الذي لا يُصلّى فيه قبراً، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يصوّر لنا هذا الأمر؛ لنتعرف على ما قرّره بالتشبيه المؤكد الجملة (52) "البليغ" من شأن بيوتنا ومن جنايتنا عليها، إذ أخليناها من قراءتنا وصلاتنا فكانت قبوراً لمن يملكها أو يسكنها.

"6" قوله صلى الله عليه وسلم: "الصيام جُنّة، إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإنّ امرؤً قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم إني صائم" (53).

في هذا الحديث الشريف:

شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم بالجُنّة التي تقي الإنسان ممّا يُصيبه من السهام ونحوها، والأصل: الصوم كجنة في الوقاية، فالصوم وقاية تحمي الصائم من الإثم، وتصونه من المخالفات الشرعية ومن المعاصي، تلك المخالفات والمعاصي التي تكون سبباً

في دخول صاحبها النار، وقد قال النبي - في رواية أخرى - : "والصوم جنة من النار" (54). ولذلك يُوصي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الصائم إن استثاره أحد فقاتله أو شاتمته، يوصيه بأن يذكر نفسه وصاحبه بأنه صائم (فليقل إني صائم إني صائم)، والصورة التي مرت في الحديث الشريف تفيد بأن الصيام جنة تمنع صاحبها من المعصية وتقيه العذاب يوم القيامة، وفي تأكيد معنى الصيام بالترار وقاية من الاستتارة والوقوع في المعصية (55).

وفيما سبق من الأمثلة النبوية الشريفة نلاحظ أن هنالك عدة أمور متعلقة بالتشبيه البليغ، إذ يظهر لنا أن الصورة البيانية المبنية على التشبيه في أغلب الأحيان مادية في طرفيها، وقد يلجأ إلى تشبيه الأمور المعنوية بأمر حسي لا يضاهيها، وتقريبها إلى أذهان الناس المخاطبين من الصحابة خاصة والناس الآخرين عامة، وقلما يلجأ إلى الأمور المعنوية المجردة، وذلك لأن العربي في ذلك الوقت فطرياً بطبيعته ينزع إلى تقبل المحسوس أكثر من المعقول، ورغبة من النبي صلى الله عليه وسلم في إيصال هذه المعاني السامية إلى الآخرين انتزع أجزاء الصورة التشبيهية من عناصر البيئة وظروفها الطبيعية والاجتماعية.

أقسام التشبيه البليغ (المؤكد)

من الجدير بالذكر أن التشبيه البليغ في كلام العرب يكون على أنواع متعددة، نجملها فيما هو آت:

1. قد يأتي على صورة مبتدأ وخبر، كقولنا: (العلم نور في الهداية).
2. قد يأتي على صورة المبتدأ والخبر ويكون الخبر مُضافاً، وفي هذا النوع: - يقول أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس - رحمه الله - : "يمكنك عند تقدير أداة التشبيه أن تُقدِّم أحد المتضايفين على الآخر، فإذا قلت: هو ملجأ المساكين وحصن الضعفاء وكعبة القاصدين وروضة المشتاقين، فيمكنك أن تقدِّر الكاف بإبقاء الكلام على ما هو عليه، فنقول: أنت كحصن الضعفاء وكملاجأ المساكين وككعبة القاصدين وكروضة المشتاقين، وجاز لك ثانياً أن تقدم المضاف إليه على الأداة وهو أحسن من سابقه وأجمل وقعاً على النفس، فنقول: أنت للمساكين كالملاجأ وللضعفاء كالحصن وللقاصدين كالكعبة وللمشتاقين كالروضة، وهنا تكون قد فككت المتضايفين بعضهما عن بعض" (56).

3. وقد يكون المُشَبَّه مصدرًا، وهو مفعول مطلق؛ لبيان النوع، إلا أن هذا المصدر

البياني لا يأتي مضافاً إلى ما يقوّي المشبه به تقييداً لنوعه، لأنّ المصدر من حيث هو مفعول مطلق يحتاج إلى تقييد بالإضافة أو بالنعته، ولكن المضاف إليه هو في حقيقة المُشَبَّه به، ولولاه لافتقدت الصورة عصبها الحيوي، ذلك لأنّ المفعول المُطلق لغير بيان النوع لا يصلح أن يأتي في مثل هذا الموضوع.

- ومثاله من الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم:

"اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب" (57).

وفي رواية أخرى "...أن يفترش أحدكم ذراعيه افتراش السبع" (58).

والنهي عن هذه الكيفية المكروهة في السجود بواسطة هذه الصورة المعروفة فيه تحديد دقيق يفوق أي وصف، لأنّ الكلب والسبع من الحيوانات التي تعرف وضعيتها وحالاتها، والصورة مستوحاة من حياة المخاطبين ممّا يجعل إدراكهم لها في الذروة من الدقة (59).

- ومثال آخر قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم" (60).

وفي رواية أخرى: "إنّ الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم" (61).

وجاء الكلام بالتأكيد واحد، تنبيهاً لما ينبغي أن يعلم على وجه التأكيد من شدة ملابسة الشيطان للإنسان، أي أنّ الشيطان شديد الاتصال بالإنسان ولا يفارقه، كمجرى الدم فيه، فوجه الشبه بين طرفي التشبيه هو: شدة الاتصال وعدم المفارقة بينهما.

وممّا يزيد الصورة دقّة مجيء الفعل على صيغة المضارع (يجري) لأنّه يفيد تلبس وثبات الشيطان على بني آدم، وعندما يكون الشيطان ملاصقاً للإنسان يجري منه مجرى الدم يكون قريباً منه شديد التأثير عليه، حتى أنّه يدخل على الإنسان في كلّ أمرٍ بخفاء ومكرٍ وفتنةٍ، إنها صورةٌ معبرةٌ فيها البيان والتحذير (62).

ومثالٌ ثالثٌ من التشبيه البليغ الذي جاء به المصدر: قوله صلى الله عليه وسلم:

"مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيءٍ نفعت" (63).

وفي هذا الحديث الشريف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم اللفظة (مثل) بمعنى حال وليس أداة للتشبيه، ووجه الكلام أن حال المؤمن كحال النخلة في النفع، فالمؤمن عظيم النفع لكلّ من يلقاه، فلا يُعاشره أحد، ولا يجاوره إنسان، ولا يعامله مخلوقٌ إلّا انتفع منه، ويشبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنخلة، فكلّ شيءٍ فيها نافع.

4. وقد يكون المشبّه به حالاً، كقولنا: "أقبلت سعاد بداراً"، ولعلّ الآتي يصلح مثلاً لهذا النوع، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر" (64)، أي كالبدر.
5. وقد يكون المُشبّه به مضافاً والمشبّه مضافاً إليه، كقولنا: (سبحانك اللهم!).

2. التشبيه الضمني:

ويُسمّى أيضاً التشبيه الكنائي.

ويُعَدُّ هذا التشبيه ذا مستوى منفرد بالصورة ودلالاتها، فهو لا يتقيّد بعناصر معيّنة، ولا بترتيب خاص، ولا بروابط محددة، ومن ثمّ فهو لا يحدّد الصلة بين الطرفين، فللمستقبل مجال واسع لتصور الصلة فيه بين المشبه والمشبّه به، والدليل فيه على إمكانية التقريب بين الطرفين هو السياق (65).

وهذا النوع من التشبيه يتميّز عن باقي ألوان التشبيه الأخرى بعدم التصريح بذكر المُشبّه والمُشبّه به أو وضعهما في صورة من الصور المعروفة (66)، بل يلهجان في المعنى والتركيب.

ولا شك أنّ هذا النوع يحتاج إلى ضرب من التأمل وإعمال الفكر أكثر من التصريح بذكر طرفي التشبيه، وكان "عبد القاهر الجرجاني" قد عبّر عن هذه الظاهرة خير تعبير بقوله: "إنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق له ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أمانياً، وبالمرة أولى، فكان موقعه في النفس أجلاً وألطف، وكانت به أحناً وأشغف" (67).

وللفائدة هنا نذكر ما نبّه عليه أستاذنا الفاضل "الدكتور فضل عباس" - رحمه الله - فيما يختصّ بهذا النوع ضمن كتابه الماتع: البلاغة فنونها وأفنانها، حيث قال: "والحق أنّ هذا الأسلوب من التشبيه فيه عمق الفكرة وغازة المعنى وجرارة الإمتاع ووضوح الإقناع" (68). ونوّه - رحمه الله - قبل ذلك إلى أنّ كلّ تشبيه ضمني لا بدّ أن يأتي عقب تمام المعنى الذي يريده المتكلم؛ ليكون بمثابة دليل وبرهان (69)، والتشبيه في هذا النوع لا يذكر صراحةً في الكلام؛ ومن أجل ذلك سمّي ضمناً، فهو إذن ليس قسماً لتشبيه التمثيل الذي ينظر فيه إلى وجه الشبه سواء كان التشبيه صريحاً أم غير صحيح (70).

أمثلة التشبيه الضمني في الحديث النبوي الشريف:

"1" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النجوم أمانة السماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" (71).

يُشَبِّهُ الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بالنجم الذي يكون وجوده أمانة للسماء، فوجوده صلى الله عليه وسلم أمانة لأصحابه رضي الله عنهم، إذ إنَّ وجوده في أصحابه كوجود النجم في السماء في توفير الأمان، ويبيِّنُ الرسول صلى الله عليه وسلم أَمْتَهُ بأنَّ وجود أصحابه - عليه الصلاة والسلام - فيهم أمانة لهم، فإذا ذهبوا أتاهم ما يوعدون.

وفيما تقدّم نلمح التشبيه على الرغم من عدم التصريح به، وقد جاء بصورة حافلة بالإيماءات التي تناولت الظاهرة الكونية، فالنجوم أدوات الهداية، وكذلك حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه - رضوان الله عليهم - من بعده.

"2" قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلاَّ شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود" (72).

في هذا الحديث يوضِّح النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّ الغرقد من شجر اليهود، وهو شجر له شوك عظيم يكثر في أرض فلسطين، وهو من الأشجار الخبيثة التي تشبه اليهود في خبثهم وصفاتهم الذميمة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (فإنَّه من شجر اليهود). وبذلك فإننا نلمح التشبيه لمحا على الرغم من عدم التصريح به من خلال قوله (الغرقد فإنه من شجر اليهود)، ففيه تشبيه ضمني، أي أنَّ هذا الشجر خبيث كخبث اليهود، لذلك فإنَّه لا ينطق سترًا على اليهودي.

"3" قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيها الصلاة إلاَّ قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنَّما يأكل الذئب القاصية" (73). وفي رواية: "إنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (74).

وهذا الحديث يبيِّنُ فضل الصلاة عامَّة، وفضل صلاة الجماعة خاصَّة، فيقرِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ وجود ثلاثة في بدو أو حضر ينبغي أن تقام فيهم الصلاة، فإنَّ لم

يفعلوا استحوذ عليهم الشيطان، ومن يستحوذ عليه الشيطان فقد هلك. إنَّ هذا الحديث يوجب تحذيراً شديداً لأولئك الذين يتهاونون في إقامة الصلاة الجماعة وإنَّه لتهديد مخيف، ولذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم يرغَّب بالجماعة ويقول (إنَّما يأكل الذئب من الغنم الشاة القاصية) أي المنفردة عن الجماعة؟ فالحديث إذن؛ جاء في تحذير الأمة من الفرقة، وأمرها أن تكون موحدة الكلمة والوسائل والأهداف (75).

وفي الحديث صورتان مُعَبَّرتان؛ صورة الذين استحوذ عليهم الشيطان من تركهم صلاة الجماعة، وصورة الشاة القاصية التي انفردت عن الجماعة فمكَّنت بذلك الذئب من نفسها فأكلها.

ونجد في هاتين الصورتين تشبيهاً ضمناً فُهم من سياق الكلام، ووجه الشبه في قوله -عليه الصلاة والسلام- : (إنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية) المأل إلى الانتهاء والهلاك. وللربط بين صلاة الجماعة والتزام الجماعة يشير إلى أنَّ الحرص على صلاة الجماعة ممَّا يحفظ وحدة الأمة، ويضمن سلامتها من كيد الأعداء (76).

والصورتان من وحي الثقافة الدينية المتمثلة في القرآن الكريم والبيئة العربية التي فيها المراعي والغنم والذئب، وهذا ما يزيد من تأثيرها في نفس المخاطبين وترسيخ القناعة في نفوسهم.

3. التشبيه المقلوب:

هذا النوع من التشبيه يقوم في معناه الأساسي على جعل المُشَبَّه مُشَبَّهاً به، والمُشَبَّه به مُشَبَّهاً، ويُسمَّى أحياناً بالمنعكس (77) أو غلبة الفروع على الأصول (78). ويمكن لهذا النوع أن يحقق نوعاً من لفت النظر من خلال القلب لفهم المعنى؛ لأنَّ أهم ما يُميِّز التشبيه المقلوب هو الالتحام بين طرفيه الرئيسين، وإجمال العلاقة بينهما، وانحصار الصورة المشبهة بها في المشبَّه بمقتضى التقديم والتأخير الطارئ على الترتيب (79). وهو يُعدُّ من التشبيه البسيط في الأفراد أيضاً، وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث شريفة وجدها محدودة من هذا القبيل أي التشبيه المقلوب الذي انطوى في إطار

حوارٍ ساقه صلى الله عليه وسلم لغرض ترسيخ المعنى وتمكنه في نفوس المخاطبين؛ وذلك لما وجد فيه من فائدة في عملية توصيل المعنى لدى السامعين أو المخاطبين. ولعلّ سبب ندرته في الحديث النبوي كانت بسبب ما يحمله من الإيهام عندما يُشَبَّه فيه الأعراف بالأقل منه معرفةً ولغةً، وهو ما يتعارض مع رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية ومهمته البيانية.

ويعلّل بعضهم اللجوء إلى هذا النوع من التشبيه بأن انبثاق معظم صور التشبيهات من محيط البيئة المحدودة جعل أكثر تلك الصور تدور في مجال ضيقٍ تتمثل فيه صور التكرار، ممّا دعا إلى سعة في الأفق واللجوء إلى هذا النوع من التشبيه الذي يتفق مع ما اشترطه البلاغيون في استعماله فيما بعد، بأن لا يرد إلاّ فيما كان متعارفاً عليه، فقد ألفه الناس وجرى بينهم حتى تظهر فيه صورة الانعكاس؛ لأنّه لو ورد في غير المتعارف عليه لكان قيماً، ذلك لأنّ مطرد العادة في البلاغة تشبيه الأعلى بالأدنى، والإتيان بالتشبيهات التي لا تجري على ما قرره البلاغيون، إثراءً لهذا الفن (80).

أمثلة التشبيه المقلوب في الحديث النبوي الشريف:

"1" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم أو كالرجل المؤمن، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنّها النخلة، وأردت أن أقول، فإذا أنا أحدثهم فاستحييت، ثم قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: هي النخلة" (81).

في هذا الحديث الشريف بين الرسول الكريم محمّد أنّ المؤمن عظيم النفع لكلّ من يلقاه، فلا يعامله أحدٌ إلاّ انتفع منه، ويمثّل -عليه الصلاة والسلام- المؤمن بالنخلة، فكلّ شيءٍ فيها نافع؛ ثمرها ونواها وسعفها وجذعها وطائها وجمارها، فاستخدم -عليه الصلاة والسلام- التشبيه المقلوب مبالغة لتلك الصورة التي تميّز المؤمن وتبقي له الفضل، وقد ساق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التشبيه في إطار حوارٍ يشدّ السامعين فيه إلى ما يقول، فسأل أصحابه -رضوان الله عليهم- عن الشجرة التي تشبه المؤمن، فعكس الصورة عندما قال: "إنّها مثل المؤمن" مبالغة في بيان الصورة الحقيقية التي تميّز المؤمن عن غيره أصلاً، وبذلك نجد التصوير اعتمد على أمرٍ يعرفه المخاطبون أنّهم معرفة، وكأنّه قال: حال المسلم

العجيب الشأن كحال النخلة، ووجه الشبه بين النخلة والمسلم: منتزع من أمورٍ متعددةٍ -وسيمر معناه إن شاء الله تعالى في التشبيه التمثيلي مُفصَّلاً-.

"2" قوله صلى الله عليه وسلم: "أندرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إنَّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإنَّ فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ف طرح في النار" (82).

وفي هذا الحديث الشريف تشبيه لُمح من سياق كلامه صلى الله عليه وسلم، ويُسميه البلاغيون التشبيه الضمني، وقد تقدّم التعريف به، وفضلاً عن ذلك؛ فقد جاء التشبيه هنا مقلوباً مبالغاً في إفلاس من لم يقيم حدود الله في صلاته وصيامه وزكاته، لأنَّه في الحقيقة تنكر لحسن المعاملة التي تنبثق من هذه الشعائر التعبدية، وبتنكره هذا وعدم التزامه بما توجبه تلك العبادات صار أفلس من المفلس بالدرهم والمتاع، فجاء هذا الحديث منه ليؤكد هذه الحقيقة عن طريق الحوار، لينقرّر هذا المعنى في نفوس المخاطبين، فلا ينسوه أبداً، ولولا هذا الحوار لمرّ على أسماعهم مروراً عابراً.

ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الصورة إلى أنَّ الإفلاس الحقيقي هو حالة الرجل الذي أضاع حسناته يوم القيامة في ذلك اليوم الذي لا يتاح للمرء أن يكسب شيئاً ويطرح في النار.

وهذا التصوير الدقيق يؤدي غرضاً دينياً هو الإمتناع عن الظلم في الدنيا، فقد تكون المظالم قوة يتمكن أن يفعل من خلالها ما يشاء، ولكن عليه أن يتذكر أنه سيجرد من هذه القوة في يوم القيامة، لأنَّ العدالة الإلهية لن تدع مظلوماً في ذلك اليوم حتى تنتصف له من ظالمه (83).

"3" قوله: "جهاد الضعفاء الحج" (84). و"جهاد المرأة حُسن التبعل لزوجها" (85). ونلاحظ هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قدّم المُشبه به على المُشبه عندما قصر جهاد الضعفاء بالحج، وجهاد المرأة على حسن التبعل لزوجها، فلا جهاد للضعفاء غير الحج، وللمرأة غير حسن التبعل لزوجها، وذلك لأنَّ الجهاد موضع اهتمام الضعفاء والنساء ومبعث حيرتهم

وتسألهم إن كانوا سيحرمون ثوابه أو لا؟! فأجيب بما فيه من رفع لمكانة الحج وإدخال الاطمئنان إلى نفوس ظمأى إلى ثواب الجهاد، ولولا هذا التقديم لما قصر جهادهم على الحج وحصر فيه، وكان كأي من الأخبار والتشبيهات الأخرى، كما نلاحظ في ذلك: المبالغة في جهاد الضعفاء وحسن تبعل المرأة لزوجها وإظهار مظهر الأصل الذي تتجلى فيه الصفة المشتركة وجه الشبه أقوى وأوضح.

[ب] تشبيه الجمع (أو المتعدد):

ونقصد به: أن يتعدد المشبه به دون المُشَبَّه، وذلك لزيادة في البيان والإيضاح، والكشف عن المعاني الدقيقة التي يتحملها النص ويرجى إيصالها إلى ذهن المتلقي وإقناعه بها، وهو ما يكون فيه وجه الشبه مفرداً أيضاً سواء كان مُجملاً أو مُفصلاً (86).

وهذا التشبيه من صور التشبيه المتعدد (87) الذي يقوم على أساس تشبيه الشيء بأشياء متعددة (88).

والتشبيه المتعدد في بعض صورهِ يمكن أن يعدّ مظهرًا من مظاهر الاستيعاب والتقصي لعناصر المشابهة، فضلاً عن قوة الملاحظة والبراعة في الجمع بين الأشياء المناسبة والقدرة على نظمها في سلكٍ قصير (89).

وقد يكثر هذا النوع من التشبيه في كلام العرب رغبةً في تحديد الصورة ومنحها شكلاً متكاملًا متعدد الألوان، مختلف المشاهد، ليعبر فيها العربي عن أفكاره وما يدور في نفسه بما يتناسب مع حاله والموقف الذي يتطلب منه التنوع وعدم الاستقرار أو الركون إلى لونٍ رئيسيٍّ من ألوان الحياة وأساليب القول والتعبير (90).

لذا نلاحظ في هذا النوع من التشبيهات أنه يؤدي وظيفته في إيضاح المعنى، وتوطيده في النفس، وتقرير المشبه بصورته الحقيقية في ذهن وتثبيتته لدى المُتلقّي.

أمثلة تشبيه الجمع في الحديث النبوي الشريف:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عبّر عن المعاني في أحاديثه الشريفة ابتغاء الإحاطة والشمول وترسيخ المعاني المقصودة التي يتربى عليها أبناء المجتمع عبر كل زمان ومكان، وقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث عدّة تضمنت هذا الضرب

من التشبيهات، نذكر منها:

"1" قوله صلى الله عليه وسلم: "كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (91).

ففي هذا الحديث الشريف؛ شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن أو أراد منه وطلب إليه أن يكون كالغريب مهما طالَّت إقامته في البلد الذي اغترب فيه؛ لأنه ليس من أهله، ولا بُدَّ أن يعود يوماً إلى موطنه الأصلي، ويتخلَّى أو يترك غربته، وهكذا حال المؤمن الحق الذي جعل الآخرة همّه، وعرف أن الجنة هي وطنه الذي أراد ربُّ العالمين -تبارك وتعالى- أن يقطنه، إذ لا ينبغي له أن ينشغل بالدنيا عن الآخرة مهما طال مكوثه بها (92).

فالمخاطب هو المُشَبَّه، والغريب هو المُشَبَّه به، وأردف صلى الله عليه وسلم عبارة التشبيه بأخرى مثلاً، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: "أو عابر سبيل"، فالمُشَبَّه المخاطب نفسه، والمُشَبَّه به عابر السبيل، فالحديث إذن فيه أكثر من مُشَبَّه به.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "كأنك غريب" تشبيه يُسمَّى مرسلاً مجملاً؛ أمّا إنه مرسل فلأن أداة التشبيه وهي (كأن) مذكورة فيه، وأمّا مجمل فلأن وجه الشبه غير مذكور، والتقدير: كن كالغريب في عدم الاستقرار والتفكير بالمكث وطول الإقامة.

ونلاحظ أنَّ للأداة (كأن) أثراً فعالاً في تلاحم أجزاء الصورة التشبيهية؛ لأنها تلغي خصائص الأشياء المضادة لتجعل الطرفين ذوي خصيصة واحدة هي في الأغلب خصيصة المُشَبَّه به (93).

"2" قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن إذا أصابه السقم ثم أعفاه الله كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة فيما يستقبل، وإنَّ المنافق إذا مرض ثم أعفي كالبعير عقَّله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه" (94).

وفي هذا الحديث شبه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مرض المؤمن بعد شفائه منه بالكفارة والموعظة، وشبه عليه الصلاة والسلام المنافق الذي شفي من مرضه بالبعير، عقَّله أهله ثم أرسلوه، فجاءت المُشَبَّهات بهِ مختلفات في حالتَي المؤمن والكافر، وأدت وظيفتها في توصيل المعنى وترسيخه في صورة تشبيهية متناهية الدقة.

"3" قوله صلى الله عليه وسلم: "الدُّنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (95).

وفي هذا الحديث الشريف شبه النبي صلى الله عليه وسلم الدُّنيا بالسجن مرّة،

وبالجنة مرة أخرى، ولكن هناك اختلافاً بين الحالتين؛ لأنها سجن المؤمن وجنة الكافر، فالمؤمن يتمتع في الدنيا عن الإغراق في الملذات، ويبتعد عن كل ما يتعارض مع عقيدته وحسن إسلامه، بداخله رقيب ذاتي يأمره بسلوك الحق واجتناب الباطل، والحذر كل الحذر من المنكرات والرذائل؛ ليتوصل إلى رضوان الله تعالى، أما الكافر فلا شيء يردعه أو يمنعه من اقتراف المعاصي والإغراق في الملذات الدنيوية، ناسياً يوم الحساب "يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم" (96).

وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنما يدلّ على الدقة المتناهية في توظيفه صلى الله عليه وسلم التشبيه أداة من أدواته البيانية، عندما استخدم التشبيه البليغ وسيلة من وسائل التوحيد في إطار تشبيهه الجمعي هذا.

"4" قوله صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ فإنهما يأتيان يوم القيامة وكأنهما غمامتان أو غيايتان أو خرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبها" (97). - وفي رواية أخرى: (يظلان صاحبهما) (98).

- وقد نصّ على ذلك في صحيح مسلم ف قيل: تضرب لهما ثلاثة أمثال (99). فهذا الحديث النبوي الشريف يُبين لنا مدى دقة الرسول صلى الله عليه وسلم في التشبيه، ورسم الصورة البيانية المُعبّرة عن المعاني المقصودة.

حيث شبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم السورتين الكريمتين: البقرة وآل عمران بغمامتين في الأول، وغيايتين أي ظلتين بينهما شرق في الثاني، وبسربين من طير صواف في الثالث، يظلان صاحبهما ويحجان عنه أذى حرّ الشمس يوم القيامة (100).

ولا يخفى ما في الحديث الشريف من تصويرٍ لبيان فضل هاتين السورتين المباركتين لما فيهما من صور غيبية وأصول اعتقادية وأحكام شرعية ومبادئ عامة تُقرّر فضل قراءة القرآن وثمرته تلاوته والالتزام به يوم الدين؛ لأنّ المرء يحتاج إلى الشفيع في ذلك اليوم، وإنّ أصحاب القرآن الذين يتلونّه حق تلاوته ويعملون به يستحقون تلك الشفاعة - شفاعة القرآن الكريم -، ثم خصّ الرسول الأمين - صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهِ - سورتَي البقرة وآل عمران بفضيلة تدعو إلى أن يُكثر المرء من قراءتهما، ودعاهما الزهراوين، وفي ذلك صورة مُحبّبة، ثم ضرب لهما ثلاثة أمثال في

مجيئهما يوم القيامة، فهما تأنيان كأنهما غمامتان أو كأنهما جماعتان من الطير الصواف، فتأنيان بصورة من هذه الصور المتقاربة تحاجان عن أصحابهما يبتغيان لهم الشفاعة، وليس من شك في أن تضرب أمثال ثلاثة لأمر واحد دليل على غزارة المعنى المصور، كما أنه دليل على أهمية هذا الذي تضرب به هذه الأمثلة.

الصور الأخرى من تشبيه الجمع (المتعدد):

(1) التشبيه المفروق:

وهو ما أتى فيه بُمُشَبَّه ومُشَبَّه به ثم بآخر وآخر وهكذا، ويكون لكل تشبيه على حده لا يتداخل مع غيره (101).

وسمي مفروقاً لأنه فرّق بين المُشَبَّهات بالمُشَبَّهات بها، وفرّق بين المُشَبَّهات بها بالمُشَبَّهات، أو باختصار لأنه فرّق بين التشبيهات فجاء كل مستقلاً عن صاحبه (102).

ويتسم هذا التشبيه بالوضوح والبعد عن التعقيد (103).

ومن أمثلته في الحديث النبوي الشريف:

قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- في بيان فضل الجهاد في سبيل الله: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقال معاذ -رضي الله عنه-: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد" (104). وحديث معاذ هذا قطعة من حديث طويل، بدأه معاذ -رضي الله عنه- بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة ويباعده عن النار، وأجابه النبي -عليه الصلاة والسلام- أن هذا العمل هو تطبيق أركان الإسلام، ثم قال له: ألا أدلك على أبواب الخير؟ فذكر منها الصوم والصدقة وصلاة الليل، ثم كانت هذه القطعة من الحديث المتعلقة بالجهاد وينتهي الحديث بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فأخذ بلسانه وقال: (كفّ عليك هذا).

وقد ذكرنا هذه المُقدِّمة لنبيّن ما المراد من كلمة الأمر الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم "ألا أخبرك برأس الأمر؟" فالمراد من كلمة الأمر هو الرغبة في الخلاص من النار ودخول الجنة، فرأس هذا الأمر، الإسلام والدخول فيه والإيمان بعقائده ومبادئه،

وعموده الصلاة، فإذا سقط هذا العمود سقط هذا الأمر، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، إنه الصفة التي لا شيء فوقها (105).

وقد أكدت هذا المعنى أحاديث عدة تدور على أنه ليس هنالك عمل يمكن أن يسدّ مسدّ الجهاد أبداً، والحديث بجملته قائم على الحوار الذي كان يتعمده النبي صلى الله عليه وسلم، وأوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم المتكرر: ألا أخبرك؟ ألا أدلك؟ في التعبير عن المعاني المجردة بالصورة الحسية الملموسة.

ولا يخفى أن في الحديث الشريف هذا ثلاثة تشبيهات بليغة، وكانت بطريقة التشبيه المفروق، فضلاً عن كونها تشبيهات مقلوبة زيادة في المبالغة، (106) لأن الصفة المشتركة في رأس الأمر: دخول الجنة والخلاص من النار لا يكون إلا في رحاب الإسلام، فكأنه -عليه الصلاة والسلام- قال: الإسلام رأس الأمر، كما لا يستقيم هذا الأمر (الدين) إلا بالعبادة التي تكون الصلاة في مقدمتها، فهي بمثابة العمود الذي يحافظ على بقاء البيت مرفوعاً بذلك الجهاد، فيمثل الذروة أو القمة لهذا الدين، إذ بالجهاد ندافع عن هذا الدين، لنثبت أركانه ونعلي كلمة الله تعالى (107).

(2) التشبيه الملفوف:

وهو ما أتى فيه بالمشبّهات أولاً على طريقة العطف أو غيره، ثم بالمشبّهات بها كذلك. (108)

ومن أمثلته في الحديث النبوي الشريف:

قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل البخيل والمتصدّق كمثل رجلين عليهما جُبَّتَان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما". (109)

ففي هذا الحديث الشريف تتجلى دقة التصوير في مقارنته صلى الله عليه وسلم بين الرجل الكريم وبين الرجل الآخر البخيل بصورة مكثفة، جعل فيها النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الكريم المتصدّق كلّما تصدّق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلّما همّ بصدقة قلّصت وأخذت كلّ حلقة بمكانها.

ومُجمل الحديث بيان حال كلا الرجلين: المتصدّق والبخيل، فكلاهما مثل لابسٍ

جبة من حديد، تُقَيَّدُ يديه إلى صدره، فالمنفق تتسع جُبته وتتفكك حلقاتها الحديدية فتتحرر يداها، أمَّا البخيل فتضيق عليه الجبة وتزداد يداها التصاقاً بصدره وعجزاً عن الحركة. والإمام النووي -رحمه الله- يقول في شرح هذا الحديث الشريف: "وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة والإنفاق، والبخيل بضد ذلك" (110).

والرسول -عليه الصلاة والسلام- يُصَوِّرُ في هذا الحديث الشريف حال المُتَصَدِّقِ وحال البخيل مُستخدماً لفظ مثل، الذي يعني الحال وليس أداة من أدوات التشبيه، أمَّا أداة التشبيه هنا فهي؛ (الكاف) فيقارن ويوازن بينهما بدقة متناهية في إطار التشبيه الملفوف الذي يحتوي كمّاً من المعاني السَّامِيَةِ التي احتملها التأويل بأشكالٍ منفردة، حيث لو أردنا تحليل هذا الحديث ودلالته لاحتاج منا الكثير الكثير من الفقرات والصفحات. ومثال آخر:

قوله صلى الله عليه وسلم: "مثلُ الذي يذكر ربّه والذي لا يذكر ربّه مثلُ الحيِّ والميت" (111).

وفي روايةٍ أُخرى عنه صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال: "مثلُ البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثلُ الحيِّ والميت" (112). الصورة في هذين الحديثين واحدة؛ فالأولى تُشَبِّه الذي يذكر ربّه بالحي، والذي لا يذكر ربّه بالميت، والثانية تُشَبِّه البيت الذي يُذكر الله جلَّ جلاله فيه بالحي، والبيت الذي لا يذكر الله تعالى فيه بالميت.

ووجه الشبه بين الذاكر والحي هو الاعتداد بكلِّ منهما وأهلية العونِ والنصرة، ووجه الشبه بين تارك الذكر والميت هو عدم الاعتداد بكلِّ منهما. ويظهر لنا في كلا الحديثين أهميّة الذكر في حياة المرء المؤمن؛ إذ هو حياةٌ لروحه، وإحياءٌ لقلبه، وشعورٌ بطعم الحياة الحقيقية... إنه تشبيهٌ له مهمته الدينية، وغرضه التوجيهي المتمثل بالحرص على ذكر الله تعالى في كلِّ حال، وإقامة شعائره في بيوتنا وأهلينا وفي كلِّ مكانٍ وزمانٍ.

لقد جاء بطريقة التشبيه الملفوف الذي يَتِمُّ فيه استقطاب مجموعة من المعاني ونشرها، فالصورة تبدو فيه مكثفة، فضلاً عمّا فيها من المقارنة والموازنة (113).

(3) تشبيه التسوية:

وهو ما تعدد فيه المُشَبَّه، وكان المشبه به واحداً (114).

وسُمِّيَ هذا النوع بالتسوية؛ لأنه سوى بين المشبّهات، حيث جعل لها مشبّهاً به واحداً، وهو أقلُّ بلاغة من تشبيه الجمع الذي يجمع فيه المُتَكَلِّم مُشَبَّهات متعددة لمشبه واحد، إذ تأتي بلاغة هذا التشبيه الأخير من أن المتكلم أرشد إلى معانٍ كثيرة في المشبه وصفات متعددة، فجعل لكلِّ صفةٍ مشبّهاً به يعتمد عليه، (115) وليس الأمر في تشبيه التسوية. ومن أمثلته - أي تشبيه التسوية - في الحديث النبوي الشريف:

قوله صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل" (116).

ففي قوله صلى الله عليه وسلم: الساعي على الأرملة والمسكين يكمن فيه تعدد المشبه، فكأنما يقول - عليه الصلاة والسلام - : الساعي على الأرملة كالمجاهد في سبيل الله، أو الساعي على المسكين كالذي يصوم النهار ويقوم الليل... لأنَّ وجود (أو) في جهة المشبه به لا تفيد الجمع والاشتراك، بل تفيد التخيير، ولذلك فالتشبيه تشبيه تسوية وليس تشبيهاً ملفوفاً.

وفضل الجهاد وكذا فضل الصيام والقيام لا يكاد يتجاهله أحد لكثرة ما نطقت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والنبوي في حديثه هذا يحضُّ على أهميّة القيام على شؤون الأرملة والمسكين، ويبين لنا فضل هذا العمل، فالذي يسعى على الأرملة والمسكين فينفق عليها كالمجاهد في سبيل الله تعالى، هذه صورة، أو كالعابد المخلص في عبادته في صيامه وقيامه ودوامه على ذلك بشكل متواصل، وهذه صورة أخرى، وهاتان الصورتان جيء بهما للدلالة على عظيم ثواب المُتَصَدِّق على هؤلاء المعوزين؛ كالأرملة التي فقدت زوجها ولم يعد هناك من ينفق عليها، ولا من يقوم بحاجتها، وكالمسكين الذي لا يكفيه ما عنده لسد حاجاته الكثيرة.

وإذا ما تأملنا الأمثلة السابقة في صورة التشبيه المُتَعَدِّد وجدناها قائمة على مبدأ تكثيف الصورة، وهي تطابق كلَّ المطابقة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوتيت جوامع الكلم... واختصر لي الكلام اختصاراً" (117).

ثانياً: التشبيه المركب:

ونقصد به:

التشبيه التمثيلي، وهو: ما كان وجه الشبه فيه مركباً أو منتزِعاً من أمورٍ متعددةٍ حسياً كان أم عقلياً، وهو ما ذهب إليه الخطيب القزويني صاحب (الإيضاح) (118) وجمهور البلاغيين فيما بعد، خلافاً لما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني (119) والسكاكي (120) فالمذهب المشهور إذن؛ هو الذي لا يشترط في التشبيه التمثيلي غير تركيب الوجه وفي ذلك يقول فضيلة أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس -عليه رحمة الله- بعد أن تحدّث عن أقوال هؤلاء العلماء الثلاثة - الجرجاني والسكاكي والخطيب القزويني - قال: "... وإذا قد عرفت هذا؛ فإنّ الذي استقرّ عليه البيانون فيما بعد هو ما ذهب إليه الخطيب من أن تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، محسوسة كانت الصورة أم معقولة، ذلك لأنّ هناك إبداعاً في كثيرٍ من الصور الحسية تتفاعل معها النفوس، فتجد فيها ضالّتها وبغيّتها" (121).

أمثلة التشبيه المركب "التمثيلي" في الحديث النبوي الشريف:

"1" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". (122)

في هذا الحديث الشريف يبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة التشبيه التمثيلي قوة الإيمان ورابطة المؤمنين ووحدتهم وتعاونهم وتكافلهم وشعورهم مع بعضهم، وهذه الوحدة القوية بينهم جعلتهم متوادين ومتعاطفين ومتراحمين، فهي وحدة حقيقية تغوص في أعماقهم ومشاعرهم، وتظهر على جوارحهم وألسنتهم، وتبرز في تعاملهم وسلوكهم، لذا شبّههم النبي صلى الله عليه وسلم بالجسد الواحد؛ فوحدتهم وحدة عضوية، فإذا ما ألمّت كارثةٌ بواحدٍ منهم أو مجموعةٌ أو أصابهم همٌّ أو غمٌّ أو أي مرضٍ يُشكّي منه تداعى لذلك سائرهم بالمشاركة في الألم والهم، كيف لا "ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"؟! (123) فمثلهم في ذلك مثل الجسد الواحد، إذا تألم من عضوٍ مُعيّن تألم الجسد كله لألمه وشاركه بالسهر والحمى، وانظر كيف يخيّل إليك هذا الحديث النبوي الشريف أعضاء الجسد وقد

هَبَّت للنجدة يدعو بعضها بعضاً، ويناديه لإسعاف صاحبها أو مواساته، ثم يجعل تناديهما جواباً مُسَعِفاً، واستجابةً صادقةً ومساعدةً حقيقته، وهي: السهر والحمى، وليس مجرد الصراخ بلا مغيث.

فالرسول صلى الله عليه وسلم يُقَرِّر بذلك حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين؛ ببيان اللوازم البينة لوجوده، وذلك بضرب مثلٍ يصوِّر صورة أعضاء الجسد في الجسد؛ فإذا أَلَمَ بأحداها شيءٌ لم ينفرد بالألم دون سائرها، فيسهر الجميع لسهره، ويحمُّ الجميع لحماءه، وهكذا فليس هناك في المجتمع الإسلامي عضوٌ -مهما كان شأنه- هيناً لا تتأثر الأمة من أجل ضرِّ أصابه، ممَّا يدلُّ على أنهم أحياءٌ غير أمواتٍ ولا مصابين بشللٍ كما هو حالهم اليوم بسبب ضعف الإيمان، وقلة الالتزام بأمر الإسلام، إلّا من رحم ربي - جلَّ وعلا - ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

"2" قوله صلى الله عليه وسلم:

"إنَّما مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يحذيك، وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك، وإمَّا أن تجد منه ريحاً خبيثةً" (124).

وفي هذا الحديث الشريف يوضح النبيُّ صلى الله عليه وسلم أثر الجليس على جليسه، على الرغم من تفاوت هذا التأثير قوة وضعفاً، ولكنَّه لا ينعدم.

وكان التشبيه هنا مُحكماً إلى أبعد درجات الإحكام؛ حيث شبَّه حال الجليس الصالح بحال حامل المسك الطيب الذي يدخل عليه المرء ليشترى منه؛ فإنَّ لم يشتري منه فإنَّ البائع قد يهديه شيئاً من ذلك، أو يشتد منه -على أقلِّ تقدير- الرائحة العطرة الزكية، كما شبه صلى الله عليه وسلم حال الجليس السوء بحال نافخ الكير الذي إمَّا أن يحرق ثيابك، وربما جسديك كذلك، وإمَّا أن تجد منه ريحاً خبيثة مؤذية.

فحامل المسك مثلُ الجليس الصالح، ونافخ الكير مثلُ الجليس السوء، وسُمِّي هذا النوع من التشبيه التشبيه الملفوف، (125) لأنَّه عاد عليهما بالترتيب، ووجه الشبه فيه منزع من متعدد، فهو من التشبيه المُركَّب "التمثيلي" الذي استخدمه صلى الله عليه وسلم لبيان أثر الجليس على جليسه، فجاء بهذه الصورة الحسيَّة الماثلة أمام الأعين، لما لها من شدَّة في

التأثير ووقع في النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء، وفي الحديث: "المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل". (126)

"فالجليس الصالح هو الذي ترتاح إليه النفس وتسعد بصحبته، وأمّا الجليس السوء فأنت معه في خسارة دائمة وصحبته همّ دائمٌ وحزنٌ لازمٌ، فضلاً لحالته المنفردة، ولكلامه الذي لا يزيد عن النفخ، فهو -بلا شك- يجعل الصدر والقلب في ضيقٍ، وهذا مأفهم من البيان النبوي الكريم ودقة تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم". (127)

"3" قوله صلى الله عليه وسلم:

"مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ مرّ بأرضٍ فلاة، فرأى شجرة، فاستظل تحتها ساعةً من نهار، ثم راح وتركها". (128)

في هذا الحديث الشريف شبه الرسول صلى الله عليه وسلم حال الدنيا ومَن فيها بحالٍ الراكب أو المسافر في الوجود والبقاء ثم الانتهاء والفناء، فوجه الشبه منتزع من أمور متعددة، إذ إنّ الإنسان في هذه الحياة الدنيا كما الدنيا نفسها يمران كمرور الراكب، لأنّ الدنيا فانية ومَن عليها، ولا ريب، ذلك لأنّ الإنسان يعيش فيها وقتاً محدداً ثم يتركها، كحال المسافر الذي أرهقه التعب، واستظل ساعة تحت شجرة، ثم تركها.

فقد ذكر في هذا الحديث الشريف شيئاً أو جزءاً من الشبه أو جزءاً منه على طريقة التشبيه التمثيلي، ثم جاء بعد ذكره المُشَبَّه به.

"4" قوله صلى الله عليه وسلم:

"ضرب الله مثلاً: صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مُفَتَّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنّك إن تفتحه تلجه (تدخله)، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله عزّ وجل، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كلِّ مُسلم". (129).

في هذا الحديث الشريف أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر المُشَبَّه، ولو لم يذكره -عليه الصلاة والسلام- لبقيت صورة المشبه به بحاجة إلى إيضاح، لكنّه صلى الله

عليه وسلم أزال كل إشكال أو غموض قبل أن يسأل عن تلك الصورة. وهذا المثل صورة مُركبة تمثل لنا طريق الحق والهداية، ومزالق المعاصي والغواية، وتدلنا على أن طريق الإسلام طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انواء، وهو ميسر لمن أراد السلوك. (130)

ومعالم هذه الصورة واضحة كل الوضوح كما رسمها النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وأبدع في بيانها، وواضح في تفاصيلها أن التعبير فيها يؤثر الجانب الحسي البحت، وفيه إغراء وجذب وتحذير من كل انحراف أو خروج عن الطريق السوي القويم، فإن الخطوة الأولى تقود إلى خطوات كثيرة، ومن دخل باباً من أبواب الانحراف أو غل بعد ذلك في سبل الانحراف كلها ما لم يتنبه ويثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه ويستجيب لكتابه العزيز ولواعظ الله في قلبه، وهما -أي الكتاب والواعظ الذي في قلبه- الداعيان على رأس الصراط وفوقه، المتعاونان على البيان والتحذير لهذا الإنسان المُستخلف في الأرض لتحقيق العبودية لله رب العالمين، لا لشيء من أمور الدنيا وزينتها الزائلة.

"5" قوله صلى الله عليه وسلم:

"أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا" (131).

وفي هذا الحديث الشريف أثر الرسول صلى الله عليه وسلم تقديم المُشبه به على المُشبه ليشد انتباه السامعين إليه، ويشوقهم لقوله، وقد افترن هذا التشويق مع الاستفهام التقريري الذي يطلب منهم جوابه ليطول الشوق ويزيد الانتباه تقريراً منه -عليه الصلاة والسلام- لأمنه فضيلة الصلاة، والمحافظة عليها، وتأكيداً لأجرها الكبير على صاحبها.

فتكرار الصلاة بالقيام على أدائها وإقامتها كما افترض الله رب العالمين -جل وعلا- يمحو الخطايا، كما أن تكرار الاغتسال والمداومة عليه لا يبقى من درن المرء شيئاً. ومن التناسق الجميل في الحديث الشريف: أن يجعل المعصية وسخاً ودرناً؛ تتقزز النفس السوية منه وتتفر، في حين يُشبه صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس بالنهر الجاري، يغتسل المرء فيه خمس مرات كل يوم، فتمحو الخطايا، وتزيل الأوساخ - أي الأخطاء

والخطايا المقترنة - كلّما صلاها المرء، وقام بواجباتها كما ينبغي.
 ويزيد الدكتور "عز الدين علي السيد" في إيضاحه لدقّة هذا البيان النبويّ الكريم،
 فيقول:

"وحسبك ما توحى به كلمة النهر المنكرة من رقة وصفاء وعذوبة وعظمة، وما
 توحى به الباء بين النهر والباب (الالتصاق) حتى كأنّ الدار تجري من تحتها الأنهار، وما
 يخيل لنا الفعل (يغتسل) من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث طرفي النهار، وزلفاً
 من الليل، يدلّ عليهما العدد المحصور في اليوم ثم يطرد هذا مع العمر صعوداً، بإضافة
 العموم إليه كلّ يوم، دلالة على اتصال النعيم ودوامه". (132)

ثمّ يرى في تلك الدقّة شيئاً آخر هو: إسناد فعل المحو إلى لفظ الجلالة، وجعل
 الصلوات آلة البيان وسببه، ليزيد النفاذ الذهن إلى هذا المثل.

فإذا روعي من هذا أنّ لفظ المفعول المحو وهو الخطايا جمع لا مفرد وبصيغة
 منتهى الجموع علم مقدار ما تفعل هذه الصلوات التي لم تتل منّا ما هي أجدر به من إيثاره
 ومقدار غفلتنا عن نهر من النور لا يزيل درناً شاخصاً فحسب عن البدن، وإنّما يمحو أنامله
 وخطايا تغمر العبد التارك فنقذف به في النار. (133)

تنبيه:

ومِمّا ينبغي الوقوف عنده والتنبيه إليه: أنّ هذه التشبيهات كلها على اختلاف أنواعها،
 ما تقدم فيها المشبه وما تأخر، وما حذف منها وما ذكر فيها، لا لبس فيها ولا غموض؛ لأنّه
 صلى الله عليه وسلم لم يعرض عن ذكره إعراضاً تاماً، فلا يذكره إلى أن يُسأل - عليه
 الصلاة والسلام - عنه، وإنّما يُبادر إلى ذكره قبل ذلك، وكأنّ التطور الجاري اتجه إلى
 الإفصاح، فضلاً عمّا تميّزت به العرب من إيثار لهذا الإفصاح على الإيهام والغموض.

وما له صلى الله عليه وسلم من قدرة فائقة على صوغ الكلام لم يبلغ فصحاء العرب شأوها
 ولم يدانوه فيها، ولهذا خلت أقواله من التعقيد وضعف التركيب والإيهام المقصود بتأخير
 ذكر المشبه والتفصيل بذكر المشبه به. (134)

ورحم الله "مصطفى صادق الرافعي" رحمةً واسعة إذ يقول وهو - يتحدث عن البلاغة
 النبوية -:

"هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحُرست العقول دون غايتها، لم تُصنع وهي من الأحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلّف لها وهي عن السهولة بعيدة ممنوعة، ألفاظه النبوية يعمرها قلبٌ متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحفائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل؛ فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفصول حتى ليس فيها كلمة مفصولة، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضٌ قلبٌ يتكلّم، وإنّما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره.. صلى الله عليه وسلم " (135).

قلتُ: لا عجب إنْ توصف بلاغته صلى الله عليه وسلم بذلك رغم بشريته، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، والقدرة الفائقة على التصوير الموحى والتشبيه الواضح، ممّا يدلُّ على موهبةٍ إلهيةٍ منحها الله تعالى له، وميّزه بها؛ لتبليغ دينه الحنيف بأحسن تعبير.

الخاتمة، وفيها: خلاصة البحث وأهم نتائجه:

هذه هي البلاغة النبوية في الصورة التشبيهية التي وجدناها في الحديث النبوي الشريف ذات الطابع المتجدّد من الفخامة والتكامل والوقع الخاص في النفوس؛ لوضوحها وجلالتها، مع دقتها ورصانة ألفاظها في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جسّم المعاني، وعبر عنها بأسلوبٍ تصويريّ بديع، تُدرّكه العقول، وتتأثّر به القلوب، ويؤدّه غرضه، ويصل غايته بقوةٍ وبقطةٍ وعمقٍ واتساعٍ ونفاذٍ إلى صميم الأشياء.

ويمكننا تسجيل خلاصة بحثنا هذا ضمن النتائج الآتية:

1. التشبيه أسلوب من أساليب البيان قديم قدم التعبير، ويعدُّ أقرب وسيلة للإيضاح والإنابة مع جماله وإثارته للنفس البشرية وتأثيره فيها.
2. للتشبيه أقسام عديدة، من حيث الواقع والحقيقية، ومن حيث الخيال والظلال، كما يمكن تقسيمه بحسب أركانه؛ كأن يُقسّم من حيث طرفاه، ومن حيث الأداة، ومن حيث وجه الشبه، وربما يُقسّم من حيث الأفراد والجمع أو البسط والمركب أو غير ذلك، وهذا راجع إلى الذوق والفكر مع مراعاة عناصره أو قواعده اللغوية والبيانية.
3. الحديث النبوي الشريف مليء بالصور التشبيهية التي تُخلّق في سماء البيان العربي، ولا

تقل في أثرها عن الاستعارة أو الكناية.

4. التشبيه البليغ من أكثر ألوان التشبيه التي يمكن القول أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم استخدمها من بين ألوان التشبيه الأخرى، وكذا التمثيلي الذي اتخذ أشكالاً وقوالب متعددة.
5. الصورة التشبيهية قد تشتمل على أكثر من نوع من أنواع التشبيه؛ وذلك بالنظر إليها من زوايا مختلفة، وحسب العناصر الموجودة فيها من غير أن يكون في ذلك أيّ تعارض أو تضارب بين تلك الأنواع.

توصيات الباحث:

- 1- حث طلبة العلم الشرعي واللغة العربية على عمل دراسة استقرائية للصور التشبيهية في السنة النبوية، وإفرادها في رسالة علمية جامعية للإفادة من البلاغة النبوية في الكتابة والخطابة وغيرها.
- 2- الإفادة من الأحاديث المشتملة على الصور التشبيهية في الحكم على بعض الأحاديث، أو ردها بسبب ركافة الأسلوب البلاغي وضعف التشبيه في النص أو عدم انطباقه على بعض الوقائع؛ لأنه ليس من بلاغة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا مما عهد عنه.
- 3- الحرص على استنباط بقية الصور والمحسنات البديعية من السنة النبوية، وتوظيفها في مختلف المعارف الأخرى، وبالأخص فيما يتعلق بالأدب ونحوه.

شكر وتقدير

يتقدم الباحث بجزير الشكر والعرفان إلى جامعة العلوم التطبيقية الخاصة ، عمان ، الأردن على الدعم المالي المقدم لمشروع هذا البحث.

- (1) سورة طه: 114.
- (2) يُنظر ابن منظور، لسان العرب، مادة صور.
- (3) الحمداني، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص20.
- (4) الزمخشري، أساس البلاغة 2/31.
- (5) ابن منظور، لسان العرب، مادة صور.
- (6) يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في اللغة والأدب، 2/774.
- (7) البصير، كامل حسن، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص18.
- (8) سورة غافر: 64، سورة التغابن: 3.
- (9) سورة الانفطار: 8.
- (10) صحيح البخاري، كتاب اللباس/باب التصاوير، رقم الحديث (5734)، ج 1/ 409 . صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة /باب في مخالفة اليهود في الصبغ، حديث رقم (2106)، ج7/269.
- (11) متفق عليه، صحيح البخاري/ كتاب اللباس/باب عذاب المصورين يوم القيامة، حديث(5739)، ج1/409. صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة /باب في مخالفة اليهود في الصبغ، من رواية عبدالله بن مسعود، حديث رقم (2109)، ج7/273.
- (12) نقلاً عن الأستاذ حسن جبار محمد في كتابه: الغزل في عصر صدر الإسلام، ص145.
- (13) العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص245، وابن الأثير: المتل السائر 136-135-2/130، وجليل رشيد فالح: الصورة المجازية في شعر المتنبي، ص16.
- (14) الصغير، محمد حسين علي، الصورة الفنية في المتل القرآني، ص27 بتصرف.
- (15) عصفور، جابر أحمد، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص9.
- (16) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، كتاب الشين، ص254، و عباس، فضل حسن / البلاغة فنونها وأفنانها، 2، ص17.
- (17) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص74.
- (18) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص208.
- (19) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص245.
- (20) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع، ج 2 /ص17.

- (21) المرجع السابق، ص22، بتصرف.
- (22) المرجع السابق، ص29-27 بإيجاز، والبيان من ديوان اليتيمة، 2/189.
- (23) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص243.
- (24) ابن الأثير، المثل السائر، 1/396.
- (25) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع ص41 باختصار.
- (26) المرجع السابق، ص46-44 باختصار شديد.
- (27) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع ص47 بتصرف.
- (28) المرجع السابق، ص54.
- (29) المرجع السابق، ص54.
- (30) المرجع السابق، الموضع نفسه.
- (31) المرجع السابق، الموضع نفسه.
- (32) الحمداني، فالح حمد أحمد، صاحب كتاب الصورة البيانية. وهو عبارة عن رسالة في الدكتوراة/ العراق.
- (33) المرجع السابق، ص96 وما بعدها.
- (34) المقصود بالتشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه، كقولنا: هي كاللؤلؤ في الصفاء، والمُجمل: ما لم يذكر فيه وجه الشبه، كقولنا: هي كالشمس وهذا النوع يسمى مرسل مجمل لأن الأداة ذكرت فيه ووجه الشبه حذف منه، أما إن حذفت الأداة ووجه الشبه كقولنا: هي شمس وهو أسد مثلاً فهذا هو التشبيه البليغ، حيث صار المشبه والمشبه به كالشيء الواحد مما يدل على زيادة الدلالة في اتحادهما. د. فضل عباس (البلاغة...2)، ص56 بتصرف.
- (35) الحمداني، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص96.
- (36) المرجع السابق، الموضع نفسه باختصار.
- (37) السيد، عز الدين علي، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البيانية البلاغية، ص136 وما بعدها بإيجاز.
- (38) الحمداني، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص97، وص111 بإيجاز.
- (39) المرجع السابق، الموضع نفسه، بتصرف وإضافة.
- عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع
- (40) قسّم بعض أصحاب الاختصاص من البلاغيين التشبيه من حيث طرفاه إلى عدّة أقسام، فقالوا: طرفا التشبيه قد يكونان مفردين كتشبيه الحسناء بالشمس، وقد يكونان مقيدتين، وقد يكون أحدهما مقيداً والآخر مفرداً، والقيد قد يكون

شبه الجملة أو حالاً... وقد يكون طرفا التشبيه متعددين كلاهما أو أحدهما، ولهذا صور كثيرة... ولمزيد من التفصيل والإيضاح لذلك كله راجع. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ج2، ص47 وما بعدها.

(41) صحيح البخاري/كتاب الطب/باب من البيان سحر، من رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. رقم الحديث (5556)، ج3/373.

(42) القيرواني، ابن رشيقي، العمدة، 1/27، القرطاجي، حازم، منهاج البلغاء، ص144.

(43) نعني بمجيء التشبيه حقيقة: أي أن الشيء موجوداً في المشبه به، ويسمى بالتشبيه الحقيقي، وعكسه التخيلي وهو: ما لا يوجد في المشبه به في الحقيقة إلا على سبيل التخيل، ويكون هذا في التشبيه المقلوب أو في التشبيه الذي يكون فيه المشبه حسيّاً والمشبه به عقليّاً، راجع. فضل عباس، البلاغة2، ص32.

(44) سنن الترمذي كتاب البر والصلة / باب ما جاء في النصيحة بلفظ (أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَأَةٌ أَخِيهِ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رقم الحديث (1929) والأدب المفرد للبخاري /باب رقم 120 ، ح (239،238).

(45) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص79.

(46) الجرجاني، عبد القاهر ، أسرار البلاغة، ص238.

(47) سنن أبي داود/كتاب الجهاد ، باب في السرية ترد على أهل العسكر ، رقم (2751)، ص1171 ، وسنن النسائي/ كتاب القسامة / باب سقوط القود، من المسلم للكافر ، بلفظ (المؤمنون تتكافأ دماؤهم) من رواية علي رضي الله عنه، رقم (4746). ص493.

(48) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص309.

(49) صحيح البخاري/كتاب النكاح / باب المرأة راعيه في بيت زوجها، ح(5006)، ج3/238. وصحيح مسلم/كتاب الإنارة /باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، من رواية عبد الله بن عمر، حديث رقم (777)، ج6/380.

(50) صحيح البخاري/كتاب مواقيت الصلاة / باب التطوع في البيت، حديث رقم (1156). وصحيح مسلم رقم (777).

(51) سورة الأنفال/ آية 24.

(52) المؤكد: ما حذفت منه الأداة، وعكسه المرسل، والمُجمل: ما لم يذكر فيه وجه الشبه، وعكسه: المفصل.

(53) صحيح البخاري/ كتاب الصوم/ باب فضل الصوم/ ح (1795)، وصحيح مسلم / كتاب الصوم/ ح (1151).

(54) صحيح ابن خزيمة/كتاب الصيام /باب الاجتنان بالصوم من النار، رقم (1889، 1891)، ج3/193.

(55) الحمداني، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص100 بتصرف يسير.

- (56) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع 2، ص54.
- (57) صحيح البخاري، كتاب الآذان/ باب لا يفترش ذرلعيه في السجدة/ح(822)، وصحيح مسلم/ كتاب الصلاة/ باب الاعتدال في السجود/ ح (493).
- (58) صحيح مسلم/ كتاب الصلاة/ باب الافتراش في السجود/ ح (498)، وصحيح ابن خزيمة، ح (653)، بلفظ : الكلب بدل السبع.
- (59) الحمداني، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص104 بتصرف.
- (60) صحيح البخاري/ كتاب الاعتكاف/ باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟ / ح (2035)، وصحيح مسلم / ح (2174).
- (61) صحيح مسلم/ كتاب الاعتكاف/ باب خروج المعتكف لحوائجه/ ح (2175).
- (62) الحمداني، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ص106-105 باختصار .
- (63) الجامع الصغير 5/201.
- (64) صحيح البخاري/كتاب الطب / باب من اكتوى أو كوى غيره، رقم (5491)، وصحيح مسلم /كتاب الطب باب من لم يرق، رقم (5541).
- (65) الطرابلسي محمد مهدي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص153.
- (66) نعني بهذه الصور المعروفة: أقسام التشبيه المؤكد المذكورة في الصفحتين السابقتين.
- (67) الجرجاني، عبد القاهر- أسرار البلاغة، ص110.
- (68) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، 3/73.
- (69) المرجع السابق، ص70 بتصرف.
- (70) المرجع السابق، ص69 باختصار.
- (71) صحيح مسلم/ كتاب فضائل الصحابة /باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه، من رواية أبي موسى الأشعري، رقم (2531).
- (72) متفق عليه، صحيح البخاري/ كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، صحيح مسلم / كتاب الفتن/باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (2489).
- (73) حديث حسن، أخرجه النسائي في كتاب الأمانة / باب تشديد ترك الجماعة، حديث رقم (847) ، وأبو داود في السنن رقم (547) والحاكم في المستدرک رقم (524)، وصحيح ابن خزيمة، رقم (1486)، وصحيح ابن حبان، رقم (2000)، 5/458.

- (74) صحيح ابن خزيمة، رقم (1486). وهو صحيح الإسناد .
- (75) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني 1/398.
- (76) الصباغ، محمد لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي 303 بتصرف يسير .
- (77) الطرابلسي، محمد مهدي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص152.
- (78) ابن جني، الخصائص 1/302، والجرجاني، أسرار البلاغة 164-192، ص2، ص56.
- (79) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر 1/421.
- (80) المطلوب، أحمد ، فنون بلاغية، ص63.
- (81) صحيح البخاري/كتاب العلم/ باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ، رقم (62)، ج(1/67) ، وصحيح مسلم، رقم (2811).
- (82) صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم (2581).
- (83) الحمداي، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص131-132.
- (84) سنن البيهقي، حديث رقم (8757) ج(1/571) ورجاله ثقات إلا أنه فيه انقطاع عن عائشة رضوان الله عنها.
- (85) صحيح البخاري / كتاب الجهاد والسير /باب جهاد النساء، ح (2783)
- (86) الحمداي، فالح، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص133.
- (87) الجرجاني، عبد الفاهر، أسرار البلاغة، ص156.
- والخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة 4/71.
- (88) ابن قتيبة، الشعر والشعراء 1/139-140.
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص59.
- (89) علي الجندي، فن التشبيه 2/147.
- (90) عبد الكريم ، ساهرة ، الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص130.
- سمي بذلك لأنه جمع فيه للمشبه عدّة مشبهات بها، كما ذكرت ذلك الدكتورة ساهرة عبد الكريم في كتابها الأنف الذكر، ص139.
- (91) صحيح البخاري كتاب الرقاق/باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كأنك غريب) ، من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه، حديث رقم(6188).

- (92) من محاضرة للدكتور الفاضل فضل عباس في مرحلة الماجستير 2000-1999م في: الجامعة الأردنية ضمن مادة دراسات "بيانية في القرآن الكريم والسنة النبوية".
- (93) الجندي، علي، فن التشبيه 1/208.
- (94) حديث حسن، سنن أبي داود/كتاب الجنائز/ باب الأمراض المكفرة، من رواية عامر الراجي، ح (3089)، ج(3/182).
- (95) صحيح مسلم/ كتاب الزهد والرقائق، من رواية أبي هريرة ح (2956)، ج(4/2272).
- (96) سورة الشعراء/ (88-89)
- (97) الحاكم في المستدرک/ وقال صحيح على شرط الشيخين ، من رواية أبي أمامة الباهلي، رقم (2057).
- (98) المستدرک، رقم (2057). ورجاله رجال الصحيح .
- (99) المرجع السابق، الموضع نفسه.
- (100) فياض، محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، ص186.
- (101) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع، ص2، ص50.
- (102) المرجع السابق، ص51.
- (103) لقزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص128، ج4.
- (104) سنن الترمذي، رقم (2616)، وقال حسن صحيح، والمستدرک، رقم (3548)، ج(2/447).
- (105) الصباغ، محمد لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص371-370 بتصرف.
- (106) التشبيه المقلوب هو التشبيه الذي يقوم في معناه الأساسي على جعل المشبه مشبهاً والمشبه به مشبهاً، ويسمى أحياناً المنعكس، أو غلبة الفروع على الأصول، كما أطلق عليه ذلك ابن جني في الخصائص وذكره الجرجاني في أسرار البلاغة، وقد مرّ بيانه في بحثنا هذا ص(21) ضمن موضوع تشبيه الأفراد وأقسامه.
- (107) الحمداني، فالح ، الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، ص142 بتصرف يسير.
- (108) الحمداني، فالح ، الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، ص143.
- (109) صحيح البخاري/كتاب الزكاة/باب المتصدق والبخل ، رقم (1444، 1443). وصحيح مسلم، رقم (1021)، ج(2/708).
- (110) النووي، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (7/109).
- (111) صحيح البخاري/ من رواية أبي موسى الأشعري، رقم (6044).

(112) الجامع الصغير 5/195.

(113) تتم عملية المقارنة والموازنة بين المشبه والمشبه به عن طريق استخدام الأدوات والوسائل التي تدعو إلى الكشف والتوضيح كالكاف ومثل وغيرها، أما كأن فتدل على التفاعل والاتحاد بين الطرفين.

(114) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها2، ص49 بتصرف وإضافة.

(115) المرجع السابق، الموضع نفسه، بتصرف وإضافة.

(116) صحيح البخاري/كتاب النفقات/باب في فضل النفقة على الأهل، من رواية أبي هريرة "رضي الله عنه"

(9/407) ح (5353) وصحيح مسلم/كتاب الزهد والرقائق/باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، (9/266) ح

(2982)، وكتاب الأدب/باب الساعي على المسكين (10/452) ح (6007) .

(117) صحيح البخاري/كتاب التيمم/باب (بلا عنوان) رقم (335). وكتاب الصلاة/باب قول النبي "صلى الله عليه

وسلم" (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) (1/634)، ح (438)، من رواية جابر، وصحيح مسلم/كتاب المساجد

ومواضع الصلاة/ ح (521، 522، 523) بلفظ أعطيت، فضلت، من رواية حذيفة بن اليمان "رضي الله عنه".

(118) نص عبارته التي عرّف فيها هذا التشبيه هو قوله عنه: "فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً،

راجع الإيضاح 2/220، وهو بذلك يتفق مع السكاكي لأنه يرى أن التمثيل لا ينبغي أن يكون وجه الشبه فيه مفرداً،

لكنه يرى بعد ذلك أننا لا ينبغي أن نقتصر في التمثيل على وجه الشبه العقلي المركب، فهناك صور حسية بديعة لوجه

الشبه حري بها أن يزين بها التمثيل كما ذكر أستاذنا الدكتور فضل عباس، ص63.

(119) بلور الجرجاني مفهوم التمثيل وجلاله تجليه ظاهرة بيّنة، فهو عنده: كل صورة قائمة على التشبيه ووجه الشبه

فيها عقلي منتزع برز من التأويل والتخييل، وبهذا يفترق عنده عن بقية الصور التشبيهية التي يكون وجه الشبه بين

أطرافها منتزعا من قبل الحسن. أي أن التمثيل لا يأتي عنده إذا كان وجه الشبه حسياً مفرداً كان أم مركباً أم صورة

منتزعة من متعدد، كما لا يأتي عنده إذا كان وجه الشبه عقلياً لا يحتاج إلى تأويل، راجع أسرار البلاغة ص81-80.

(120) يرى السكاكي أن تشبيه التمثيل لا ينبغي أن يكون وجه الشبه فيه مفرداً، بل لا بد أن يكون هيئة منتزعة من

متعدد، رغم اتفاق مع الجرجاني على أن وجه الشبه في التمثيل لا بد أن يكون عقلياً.

(121) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبيدع2، ص64.

(122) صحيح مسلم/كتاب البر والصلة والآداب/باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاظمهم، رقم (8/314)، ح

(2586) من رواية النعمان بن بشير "رضي الله عنه".

(123) المستدرک، رقم (7889) و (7902) بلفظ "ومن لم يهتم للمسلمين عامة...".

- (124) صحيح البخاري/ كتاب البيوع/ باب في العطار وبيع المسك، رقم (4379) ح (2101) من رواية أبي موسى الأشعري "رضي الله عنه" ، وصحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قراء السوء، رقم (8/349) ح (2328) .
- (125) سبق أن بيناه في بحثنا هذا ص(20).
- (126) سنن الترمذي/ كتاب الزهد/ باب رقم (45) ح (2378)، وأبو داود/ السنن كتاب الأدب/ باب من يأمر أن يجالس، ح (4833)، والمستدرک (7320).
- (127) الصباغ ، محمد لطفي ، التصوير الفني في الحديث النبوي (ص554) بتصرف كبير.
- (128) صحيح ابن حبان، رقم (6352)، والمستدرک رقم (7858) ورجاله رجال الصحيح.
- (129) المستدرک، رقم (245) ورجاله رجال الصحيح .
- (130) الصباغ ، محمد لطفي ، التصوير الفني في الحديث النبوي ص413 بتصرف، واختصار شديد.
- (131) صحيح البخاري/ كتاب مواقيت الصلاة/ باب الصلوات لخمس كفارة/ (2/14) ح (528) من رواية أبي هريرة "رضي الله عنه"، وصحيح مسلم/ كتاب المساجد/ باب المشي إلى الصلاة/ تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، (3/147) ح (667) من رواية أبي بكر وأبي هريرة رضي الله عنهما .
- (132) السيد، عز الدين علي، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص150.
- (133) المرجع السابق، ص151 بتصرف واختصار.
- (134) الحمداني، فالح، مرجع سابق ص171-170 بتصرف يسير.
- (135) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص194.

مراجع البحث

1. الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
2. البصير، كامل حسن (دكتور)، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، سنة1987م.
3. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ط2، سنة 1966م.
4. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، سنة 1959م.
5. الإمام النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392 هـ.

6. الجزري، ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (جزءان) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، بمصر، سنة 1936م.
7. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، مطبعة المعارف، استنبول، سنة 1954م.
8. الجندي، علي ، فن التشبيه (جزءان)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، سنة 1966م.
9. الحمداني، فالح محمد أحمد (دكتور)، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط(1)، سنة 2001م.
10. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة 1953م.
11. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د. ط.
12. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، ط(1)، سنة 2000م.
13. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الشعب، سنة 1960م.
14. السيد، عز الدين علي، الحديث النبوي من الوجهة البيانية البلاغية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، سنة 1973 م. (دكتور).
15. الشريف الرضي، المجازات النبوية، تحقيق والشرح: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د. ط.
16. الصباغ، محمد لطفي (دكتور)، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي سنة 1981م.
17. الصغير، محمد حسين علي (دكتور)، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، بغداد، سنة 1981م.
18. الطرابلسي، محمد مهدي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، سنة 1981م.
19. عباس، فضل حسن (أ. دكتور)، البلاغة فنونها وأفنانها (جزءان):
- علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط7، سنة 2000م.
- علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط(1)، سنة 1987م.
20. عبد الكريم، ساهرة (دكتورة)، الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام، وأثر البيئة فيها، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة بغداد، سنة 1984م.
21. العسكري، أبو هلال ، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار. إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة 1971م.
22. عصفوري، جابر أحمد (دكتور)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 1974م.

23. فياض، محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف (جمعه وخرّجه ودرسه) رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة 1978م.
24. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمثني، بغداد، ط2، سنة 1963م.
25. القرطاجي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، سنة 1966م.
26. القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط(1)، سنة 1988م.
27. القيرواني، ابن رشيّق، العمدة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، ط4، سنة 1972م.
28. محمد، حسن جبار، الغزل في عصر صدر الإسلام، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، سنة 1988م.
29. أحمد مطلوب (دكتور)، فنون بلاغية، دار البحوث العلمية، الكويت، سنة 1975م.
30. المعجم المفصّل في اللغة والأدب.